غير منظمين وكانوا يفكرون بأهداف محدودة . وشعروا كذلك بأن القادة كانوا يسعون وراء المآرب الشخصية اكثر من سعيهم وراء خير الشعب العربي في فلسطين او خير الشعوب العربية كلها(٧٧).

وقد تضمنت معظم الافتتاحيات القول بأنه لولا فقدان القيادة العسكرية الحقيقية ، ولولا ظهور الخيانة من جانب بعض القادة ، ولولا المساعدات الاجنبية لاسرائيل ، ولو ان الجامعة العربية قامت بدورها المرسوم لها لكان العرب على موعد مع الفوز والنصر بدون شك . ولكن ذلك ، لا يجيب في الحقيقة عن السؤال : لماذا هزم العرب ؟ ويظهر ان كتاب الافتتاحيات العرب قد اصيبوا بالوهم نفسه الذي كان متفشيا في الصين في القرن التاسع عشر . لقد كان الشعور العام في الصين وفي الشرق الاوسط العربي يعتقد بامكانية دمج التكنولوجيا مع الاوهام الشرقية . الا ان الصينيين ادركوا فيما بعد انه لا يجدي ان يكون في متناول المرء آلة حديثة بدون اي مفهوم تكنولوجي . لذلك فان التحديث على صعيد التكنولوجيا فقط ليس كافيا ، بل يجب ان تجدد العقول التي ستدير تلك الالات . ولم يحدث ان كتب كاتب افتتاحيات في اي مكان : ان سبب الانتصار الاسرائيلي يعود الى ان جذور الصهيونية قد نبتت في الحياة الاوروبية الحديثة ، في حين ان القسم الاعظم منا لم يزل بعيدا عن هذه الحياة وليس في مستواها(٧٨). وباغفال هذه النقطة ، ربما فات كتاب الافتتاحيات العرب اعظم سبب لهزيمة العرب في عام ١٩٤٨ . وكذلك فقد فاتتهم فرصة مساعدة شعبهم ليس على فهم اسباب الكارثة فقط ، ولكن حول كيفية جعله يتجنب كارثة اخرى .

ان مرور الزمن لم يستطع دائما ان يحسن المشاعر السلبية لدى كتاب الافتتاحيات العرب . وبقيت الوحدة العربية شيئا محيرا كما كانت من قبل حتى في سنة ١٩٥٠ : « ... انصرفنا ... الى الاسراف في ضرب بعضنا البعض بالكلام »(٧٩). وبقي الشعور قائما بأن القادة العرب لم يفعلوا شيئا « وان العرب قد دخلوا المعركة وهم يبحثون عن مبدأ يعتنقونه فعندما وجدوا ذلك المبدأ ، اختلفوا على تفسيره وعندما اتفقوا على التفسير اختلفوا على التنفيذ ... فحلت الكارثة وضاعت فلسطين ! »(٨٠). لكن دور افتتاحيات الصحف لم يستمر في ذلك الاتجاه السلبي الوحيد . ومع مرور الزمن بدأ الكتاب يلتقطون ما تبقى محاولين قيادة الراي العام مرة اخرى .

كان هذا الاهتمام المباشر منصبا على مصير الـ ٣٠٠،٠٠٠ لاجيء الذين تركوا فلسطين . ودعا كتاب الافتتاحيات اصحاب الغنى والثروة لمساعدة اخوانهم التعساء . وتساءل عدد من كتاب الافتتاحيات عما اذا كان اللاجئون العرب سيشكلون شتاتا جديدا مكان اليهود المتجمعين في فلسطين(٨١). ولم يبذل كتاب الافتتاحيات الكثير من وقتهم حول قضية اللاجئين لانهم كانوا يأملون ان تسفر المفاوضات التي جرت في اواخر سنة ١٩٤٨ عن عودة اللاجئين الى وطنهم . واذا كانت قضية اللاجئين لم تحظ بالتدقيق والتفحص ، الا ان اعمال الملك عبدالله قد خضعت للتدقيق والتحقيق . فمع مطلع تشرين الاول ١٩٤٨ ، بدأ النقد العدائي ينصب عليه للدور الذي قام به في الحرب عند ادارته قطاع شرق الاردن . ومنذ عام ١٩٤٧ كان النقد موجها الى مطالبته بضم فلسطين ، ذلك انه لا يمكن تشكيل اية حكومة في فلسطين طالما ان الملك يحمل فكرة ضم فلسطين العربية الى شرق الاردن. « لو كان في فلسطين حكومة في منتصف ايار ، فان اقل ما يقال هو ان تماسة اللاجئين ربما كانت اقل ولربما امكن تجنب الكثير من البؤس . ففي رفض قيام حكومة في فلسطين في تلك اللحظة قام مكان البلد الذي كان بامكانه ان يدافع عن نفسه، كيان محتل ... حدث كل هذا لان النيات لم تكن سليمة . لقد كان يطمع في فلسطين حتى اولئك الذين كانوا يدعون انهم يحافظون عليها »(٨٢).

وقد بدأت الحملات الصحفية في الافتتاحيات على الملك عبدالله في الربع الاخير من عام ١٩٤٨ ، وقد كانت في الواقع انعكاسا للشعور بالغضب من ضم ضفة نهر الاردن الغربية الى مملكة شرق الاردن . فمنذ وقت طويل ، كان هناك شك وارتياب من جهة الدول العربية الاخرى ذات العلاقة المباشرة بالقضية العربية بأن الملك عبدالله كان يرغب في توحيد الشرق الادنى تحت سيادة التاج الهاشمي. وفي الواقع ، بدأت الدول العربية ذات الحدود المجاورة لشرق الاردن ، على تشجيع الفلسطينيين في عام ١٩٤٨ على تشكيل حكومة خاصة بهم تكون عاصمتها غزة وذلك لاحباط المحاولة التوسعية التي كان يقوم بها شرق الاردن . فكانت مصر في طليعة